

الرَّسَالَةُ ١٣٧

أَلِيْعَازَرُ الدَّمِشْقِيُّ

(Arabic – Eliezer of Damascus)

أَحْبَائِي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: أَلِيْعَازَرُ الدَّمِشْقِيُّ

وَمِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ نَقَرْنَا الْعَدَدَ الثَّامِنَ وَالْأَرْبَعِينَ:

"وَحَرَرْتُ وَسَجَدْتُ لِلرَّبِّ وَبَارَكْتُ إِلَهَ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ الَّذِي هَدَانِي فِي طَرِيقِ أَمِينٍ لِأَخْذِ ابْنَةِ أُخِي سَيِّدِي لِإِبْنِهِ".^١

كَلْنَا يَتَأَثَّرُ بِمَنْ يُعَاشِرُ. وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَنْتِي نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ. فَإِذَا كَانَ الَّذِي نَعَاشِرُهُ صَالِحًا تَأَثَّرْنَا بِصَالِحِهِ. وَإِنْ كَانَ شَرِيرًا لِحَقِّ بِنَا شَرَّهُ إِنْ شِئْنَا أَوْ لَمْ نَشَأْ. فَلَا بُدَّ أَنْ الَّذِي نَعَاشِرُهُ يَتْرُكُ بِصِمَاتٍ تَظْهَرُ وَاضِحَةً فِي سَلُوكِنَا. عَاشَرْتُ رَاعُوثَ الْمُؤَبِّيَّةَ حَمَاتَهَا نَعْمِي الَّتِي مِنْ شَعْبِ اللَّهِ فَقَالَتْ رَاعُوثُ لِنَعْمِي: "لَا تَلْحَى عَلَيَّ أَنْ أَتْرُكَكَ وَأَرْجِعَ عَنكَ. لِأَنَّهُ حَيْثَمَا ذَهَبْتُ أَذْهَبُ وَحَيْثَمَا بَتَّ أَيْبَتُ. شَعْبُكَ شَعْبِي وَإِلَهَكَ إِلَهِي حَيْثَمَا مَتَّ أَمُوتُ وَهُنَاكَ أَدْفِنُ. إِنَّمَا الْمَوْتُ يَفْصِلُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ". وَلِلْوَقَايَةِ مِنَ التَّأَثِيرِ الضَّارِّ يُحْذِرُ بُولَسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي كُورِنْثُوسَ بِالْقَوْلِ: "لَا تَضِلُّوا! فَإِنَّ الْمُعَاشِرَاتِ الرَّدِيَّةَ تَفْسِدُ الْأَخْلَاقَ الْجَيِّدَةَ". وَيَقُولُ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَنْ صُحْبَةِ الْقَدِيسِينَ: "هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الْإِخْوَةَ مَعًا. لِأَنَّهُ هُنَاكَ أَمَرَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ حَيَاةً إِلَى الْأَبَدِ".^٢

إِنَّ كَنِيسَةَ اللَّهِ وَحَدَهَا الضَّمَانُ الْوَحِيدُ لَنَا وَالْأَوْلَادِيْنَا وَبِالانضِمَامِ إِلَيْهَا نَجِدُ شَرَكَةَ مُقَدَّسَةً وَرِعَايَةَ وَحَمَايَةَ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا سَجَلَهُ سَفَرُ أَعْمَالِ الرَّسَلِ بِالْقَوْلِ: "وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلَصُونَ". وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ التَّفَوُّعَ وَالِاسْتِقْلَالِيَّةَ لِأَنَّ مَا أَحْظَرَهُمَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِنَّ اللَّهَ أَوْجَدَنَا لِهَدَفٍ مَجِيدٍ لَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِهِ وَهُوَ أَنْ نَكُونَ "نُورًا لِلْعَالَمِ وَمِلْحًا لِلْأَرْضِ". إِذْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ فِي مُوعِظَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ: "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ وَلَا يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ فَلْيُضِيءِ نُورُكُمْ هَكَذَا قَدَّمَ النَّاسَ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ وَيُحْمَدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ".^٣

لَقَدْ ظَهَرَ الرَّبُّ يَسُوعُ لِلتَّلَامِيذِ قَبْلَ صُغُورِهِ وَقَالَ لَهُمْ: "أَذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَارْكُزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلخَلْقَةِ كُلِّهَا". وَمَا يُمَيِّزُ أَوْلَادَ اللَّهِ أَنَّهُمْ يَعِيشُونَ فِي الْعَالَمِ وَلَكِنْهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ الْعَالَمَ وَلَا يَنْقَادُونَ لِأَغْرَاءَاتِهِ. إِنَّهُمْ لَا يَبْتَدُونَ عَنِ النَّاسِ وَلَكِنْهُمْ لَا يَتَدَمَّجُونَ مَعَهُمْ فِي أَهْوَالِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ. فَالزَّيْتُ يُمَكِّنُ وَضْعُهُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنَّهُ يَبْقَى مَعزُولًا عَنِ الْمَاءِ بِغَيْرِ انْدِمَاجٍ مَعَهُ لِأَنَّهُ يَطْفُو فَوْقَ سَطْحِهِ. وَيُمْكِنُنَا تَمْيِيزُ أَحَدِهِمَا مِنَ الْآخَرِ. وَيُمْكِنُ عَرْلُ الزَّيْتِ عَنِ الْمَاءِ هَكَذَا الْمُؤْمِنُ فِي الْعَالَمِ. "لِأَنَّ آيَةَ خِلْطَةِ الْبَرِّ مَعَ الْإِثْمِ وَآيَةُ شَرَكَةِ اللَّوْرِ مَعَ الظُّلْمَةِ". وَارْتِبَاطُ الْمُؤْمِنِينَ مَعًا يُقَوِّمُهُمْ. وَيُشَجِّعُهُمْ فِي سَبْرِهِمْ مَعَ اللَّهِ. فَيَعْمَلُونَ مَعًا مُؤَبِّدِينَ بِقُوَّةِ اللَّهِ وَبِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ لِتَحْرِيرِ النُّفُوسِ مِنْ قَبْضَةِ إِبْلِيسَ.^٤

كَانَ أَلِيْعَازَرُ الدَّمِشْقِيُّ عَبْدًا لِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ كَبِيرُ بَيْتِهِ الْمُسْتَوَلِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ. وَبِمَعَاشِرَتِهِ لَرَجُلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ تَشَكَّلَتْ شَخْصِيَّتُهُ وَتَأَثَّرَتْ حَيَاتُهُ. ظَهَرَ ذَلِكَ وَاضِحًا فِي أَسْلُوبِهِ وَهُوَ يُنْجِزُ مَهْمَةً كَلَفَهُ بِهَا إِبْرَاهِيمَ. فَقَدْ طَبَّقَ مَبَادِيَّ سَامِيَّةَ اسْتِقَاهَا بِطُولِ عَشْرَتِهِ لَخَلِيلِ اللَّهِ. كَانَتْ الْمَهْمَةُ الْمُكَلَّفُ بِهَا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَرَامِ النَّهْرَيْنِ إِلَى مَدِينَةِ نَاحُورِ الَّذِي تَغْرَبَ مِنْهَا إِبْرَاهِيمُ لِيَأْخُذَ زَوْجَةً لِابْنِهِ اسْحَقَ مِنْ عَشِيرَتِهِ. كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ شَاحَ وَتَقَدَّمَ فِي الْأَيَّامِ وَلَكِنَّهُ وَتَقَّ فِي عَبْدِهِ أَلِيْعَازَرِ الدَّمِشْقِيِّ وَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى تَأْدِيَةِ هَذِهِ الْمَهْمَةِ وَحَذَرَهُ مِنْ اخْتِيَارِ زَوْجَةٍ لِابْنِهِ مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا سَاكِنِي بَيْنَهُمْ. التَزَمَ أَلِيْعَازَرُ الدَّمِشْقِيُّ بِوَصِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي قَالَ لَهُ: "الرَّبُّ إِلَهَ السَّمَاءِ الَّذِي أَخَذَنِي مِنْ بَيْتِ أَبِي وَمِنْ أَرْضِ مِيلَادِي. وَالَّذِي كَلَّمَنِي وَالَّذِي أَقْسَمَ لِي قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ هُوَ يُرْسِلُ مَلَكَهَ أَمَامَكَ

استمع إلى الإنجيل

- ^١ سفر التكوين ٢٤: ١٦ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٥: ٣٣ ، سفر المزامير ١٣٣: ١ - ٣
^٢ سفر راعوث ١: ١٦ - ١٧ ، إنجيل متى ٥: ١٤ - ١٦
^٣ سفر أعمال الرسل ٢: ٤٧ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٤ - ١٨
^٤ إنجيل مرقس ١٥: ١٦ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٤ - ١٨

فتأخذ زَوْجَةَ لابْنِي مِنْ هُنَاكَ. وَإِنْ لَمْ تَشَأِ الْمَرْأَةَ أَنْ تَتَّبِعَكَ تَبَرَّأَتْ مِنْ حَلْفِي هَذَا". كَانَ أَلِيْعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ جَدِيرًا بِنَقَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ. وَالْأَصْحَاحُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ غَيَّى بِمَبَادِي وَدُرُوسٍ تَعَلَّمَهَا أَلِيْعَازَرُ بَعِشْرَتَيْهِ لَخَلِيلِ اللَّهِ وَهِيَ حَصِيلَةُ سِنِينَ قَضَاهَا أَلِيْعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ بِمَدْرَسَةِ الْإِيمَانِ الَّتِي تَخْرَجُ فِيهَا بِكَفَاءَةٍ وَجَدَارَةٍ.^١

أولاً: عَلَاقَةُ أَلِيْعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ الْقَوِيَّةُ مَعَ اللَّهِ تَظَهَّرَ فِي صَلَاتِهِ لَمَّا وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ نَاحُورٍ.. فَقَدْ أَنَاخَ الْجَمَالَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ عِنْدَ بئرِ الْمَاءِ وَقَتَ الْمَسَاءِ وَقَتَ خُرُوجِ الْمُسْتَقِيَاتِ وَقَالَ: "أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ يَسِّرْ لِي الْيَوْمَ وَاصْنَعْ لَطْفًا إِلَى سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ. هَا أَنَا وَأَقِفْ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ وَبِنَاتُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَارِجَاتٌ لِيَسْتَقِينَ مَاءً فَلْيَكُنْ أَنْ الْفَتَاةَ الَّتِي أَقُولُ لَهَا أَمِيلِي جَرَّتْكَ لِأَشْرَبَ فَتَقُولُ أَشْرَبُ وَأَنَا أَسْقِي جَمَالَكَ أَيضًا هِيَ الَّتِي عَيَّنْتَهَا لِعَبْدِكَ إِسْحَقَ. وَبِهَا أَعْلَمُ أَنَّكَ صَنَعْتَ لَطْفًا إِلَى سَيِّدِي". وَهَذَا مَا حَدَّثَ بِالْفِعْلِ إِذْ أَنْ رَفَقَةً وَكَانَتْ ابْنَةَ أَخٍ لِإِبْرَاهِيمَ وَيُدْعَى بِتَوَيْلِ هِيَ الَّتِي أُسْرِعَتْ وَأَنْزَلَتْ جَرَّتَهَا وَسَقَتْهُ. وَلَمَّا فَرَعَتْ مِنْ سَقِيهِ أُسْرِعَتْ وَأَفْرَعَتْ جَرَّتَهَا فِي الْمَسْقَاةِ وَاسْتَقَتْ لِكُلِّ جَمَالِهِ. "وَالرَّجُلُ يَنْفَرَسُ فِيهَا صَامِنًا لِيَعْلَمَ أَنْجَحَ الرَّبُّ طَرِيقَهُ أَمْ لَا!"^٢

سأل أَلِيْعَازَرُ رَفَقَةً: "هَلْ فِي بَيْتِ أَبِيكَ مَكَانٌ لَنَا لِنَبِيْتُ؟". فَجَابَتْهُ بِالْإِجَابِ. وَلَمْ يَفْتِ أَلِيْعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ مَا اعْتَادَ إِبْرَاهِيمَ عَمَلَهُ إِذْ خَرَّ وَسَجَدَ لِلرَّبِّ وَقَالَ: "مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهَ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ الَّذِي لَمْ يَمْنَعْ لَطْفَهُ وَحَقَّهُ عَنْ سَيِّدِي. إِذْ كُنْتُ أَنَا فِي الطَّرِيقِ هَدَانِي الرَّبُّ إِلَى بَيْتِ إِخْوَةِ سَيِّدِي". اسْتَقْبَلَهُ لِابْنِ أَخٍ رَفَقَةً وَأَكْرَمَ ضِيَاغَتَهُ وَلَمَّا عَرَضَ أَلِيْعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ أَجَابَ أَخُوهُمَا وَأَبُوهُمَا وَقَالَا: "مَنْ عَدَدَ الرَّبُّ خَرَجَ الْأَمْرُ لَا نَقْبُرُ أَنْ نَكَلِمَكَ بِشَرٍّ أَوْ خَيْرٍ. هُوَذَا رَفَقَةٌ قَدَامَكَ خُذْهَا وَادْهَبْ فَتَكُنْ زَوْجَةَ لِابْنِ سَيِّدِكَ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ". وَلَمَّا سَمِعَ أَلِيْعَازَرُ كَلَامَهُمَا سَجَدَ لِلرَّبِّ إِلَى الْأَرْضِ. ثُمَّ أَخْرَجَ أُنْيَةَ فِضَّةٍ وَأُنْيَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا وَأَعْطَاهَا لِرَفَقَةٍ وَأَعْطَى تَحَفًا لِأَخِيهَا وَالْأَمَهَا.^٣

ثانياً: الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ لَا يَجُوزُ تَعْوِيقُهَا بِأَيِّ حَالٍ.. كَانَ أَلِيْعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ أَمِينًا لِإِبْرَاهِيمَ فَحِينَ اسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ رَفَقَةٍ بِحَفَاوَةٍ وَأَعْطَوْا عَلْفًا لِلْجَمَالِ وَمَاءً لِيَسْلَ رِجْلَيْهِ وَأَرْجُلَ الرَّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ وَوَضَعُوا قَدَامَهُ لِيَأْكُلَ قَالَ: "لَا أَكُلُ حَتَّى أَتَكَلَّمَ كَلَامِي". فَقَالَ لَهُ لِابْنِ: "تَكَلَّمْ". وَحِينَ تَكَلَّمَ مَعَهُمْ وَقَبِلُوا أَنْ تَذَهَبَ رَفَقَةً مَعَهُ أَكَلَ وَشَرِبَ هُوَ وَالرَّجَالُ الَّذِينَ مَعَهُ وَبَاتُوا ثُمَّ قَامُوا صَبَاحًا فَقَالَ: "أَصْرَفُونِي إِلَى سَيِّدِي". فَقَالَ أَخُوهُمَا وَأَمَهَا لَتَمَكِّثَ الْفَتَاةَ عِنْدَنَا أَيَّامًا بَعْدَ ذَلِكَ تَمْضِي فَقَالَ: "لَا تَعْوِقُونِي وَالرَّبُّ قَدْ أَنْجَحَ طَرِيقِي". لَدِينًا بِشَارَةَ الْخَلَاصِ الْمُفْرَحَةِ فَلْيَتَنَا نَسَارُحُ بِهَا.^٤

ثالثاً: لَقَدْ دَعَتْ الْأُمُّ وَتَوَيْلُ أَبُوهُمَا وَلِابْنِ أَخُوهُمَا ابْنَتُهُمْ رَفَقَةً وَسَأَلُوهُمَا شِفَاهَا.. قَالُوا لَهَا: "أَتَذْهَبِينَ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ؟". فَقَالَتْ: "أَذْهَبُ". إِنَّ هَذَا الْحَقَّ أَوْجِبَهُ اللَّهُ وَلَا يَجُوزُ الْإِخْلَالُ بِهِ فِي أَمْرِ الزَّوْاجِ. وَذَلِكَ يَنْطَبِقُ مَعَنَا رُوحِيًّا. فَخَلَاصُ الْخَاطِي يَتَوَقَّفُ عَلَى إِرَادَتِهِ هُوَ يَقْبُولُ الْحَقَّ الْمُعْلَنَ لَهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ لِيَتَّبِعَ الرَّبَّ بِحُرِّيَّتِهِ وَمِنْ كُلِّ قَلْبِهِ وَلَيْسَ بِطُقُوسٍ مَوْرُوثَةٍ أَوْ بِإِرَادَةٍ بَشَرِيَّةٍ.. لَقَدْ قَبِلَتْ رَفَقَةً أَنْ تَتْرَكَ بَيْتَ أَبِيهَا فِي مَدِينَةِ نَاحُورٍ لَتَقْتَرَنَ بِإِسْحَقَ وَتَسْكُنَ فِي خِيَامِ بَارُضِ الْغُرْبَةِ مَعَ إِسْحَقَ.. فَمَنْ ارْتَبَطَ بِالرَّبِّ انْفَصَلَ عَنْ كُلِّ رُبُطٍ تَمْنَعُ شَرَكَتَهُ الْكَامِلَةَ بِالْهِنَا.

عزيزي القارئ.. إِنَّ شَخْصِيَّةَ أَلِيْعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ قَدْ تَشَكَّلَتْ مُتَأَثِّرَةً بِشَخْصِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ. حَتَّى أَنْ رَفَقَةً وَأَسْرَتْهَا رَأَوْا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ فِي أَلِيْعَازَرُ فَكَانَ مَقْبُولًا لَدَيْهِمْ. وَأُنْجَزَ الْمُهْمَةُ الْمُكَلَّفَ بِهَا بِنَجَاحٍ. فَلْيَتَنَا كَمُؤْمِنِينَ نَتَمَنَّى بِتَأْثِيرِ أَقْوَى وَتَشْكِيلِ أَعْظَمَ بِقَرْبِنَا وَالتَّصَاقِفَا أَكْثَرَ بِشَخْصٍ مَنْ أَحَبَّنَا وَاشْتَرَانَا بِدَمِهِ. لَنَكْرَسَ حَيَاتِنَا بِالْكَامِلِ لِخِدْمَتِهِ. فَلَا تَتَعَطَّلُ بِشَارَةَ الْخَلَاصِ الْمُفْرَحَةِ الَّتِي ائْتَمَنَّا عَلَيْهَا.. بَلْ تَصِلْ فِي أَوَانِهَا لِلنَّفُوسِ الْمُحْتَاجَةِ.

لِيَتَكَ أَخِي تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ مَا عَلَّمْتَنِي. فَأَعْنِي رَبِّي لِأَعْمَلَ بِمَا عَلَّمْتَنِي. حَاجَتِي إِلَى رُوحِكَ الْقُدُوسِ لِإِرْشَادِي. لَعْمَلِ إِرَادَتِكَ وَاتِّمَامِ مَشِيئَتِكَ غَيْرَ مُعْتَمِدٍ عَلَى حِكْمَةٍ إِسْنَانِيَّةٍ أَوْ إِرَادَةٍ بَشَرِيَّةٍ.. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِّ.. مَتَكَلَا عَلَى وَعَدِكَ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرُجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر التكوين ٢٤: ١-٧

^٢ سفر التكوين ٢٤: ١٠-٢١

^٣ سفر التكوين ٢٤: ٢٣-٣٥

^٤ سفر التكوين ٢٤: ١-٧